الترجيحات التفسيرية في البحر المديد لإبن عجيبة المغربي في سورة الجن - جمعاً ودراسة -

Preferences in the long sea of Ibn Ajiba Al-Maghribi in Surat Al-Jinn, Collection and Study

اعداد

أ.م.د. رائد عبد دراج

م.م. بيداء حسون حمد

الجامعة العراقية/ كلية العلوم الاسلامية - قسم التفسير

Prepared by

Asst.Prof.Ph.D : Raed Abd Daraj

M.M: Bidaa Hassoun Hamad

Iraqi University

College of Islamic Sciences - Department of Interpretation

الملخص

سورة الجن من السور التي أهتم علماء التفسير في بيان معانيها ودراسة مقاصدها العظيمة ومن هؤلاء المفسرين ابن عجيبة الذي تناول الترجيحات التفسيرية وبين المعاني المقصودة في تفسير الألفاظ القرآنية لاسيما في تفسير سورة الجن حيث رجح في مسألتين في هذه السورة معتمدا ملكته الواسعة في التفسير مع الاستعانة بقواعد التفسير التي تعين في فهم النص القرآني.

Summary:

Surah Al-Jinn is one of the surahs that exegetes have focused on in explaining its meanings and studying its great purposes. Among these exegetes is Ibn Ajiba, who discussed interpretive preferences and explained the intended meanings of the words of the Qur'an, especially in the interpretation of Surah Al-Jinn, where he gave preference to two issues in this surah, relying on his extensive knowledge of interpretation and the rules of interpretation that help in understanding the Qur'anic text.

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن شفاءً ورحمةً للعالمين، وهدايةً للمتدبرين، ورحمةً للموحدين، والصلاة والسلام على المبعوث بالحق هادياً ونذيراً، وعلى آله الأطهار وصحبه الأخيار، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن الله تعالى قد أختص هذا الكتاب العزيز بخصيصة البيان وإعجازه، ورفع تاليه وحافظة ومتدبر آياته وفهمه، والمنشغل في تفسير اياته منشغل ببيان كلام رب العالمين لذلك يعد علم التفسير أشرف العلوم منزلة، وأعظمها أثرًا، وأكرمها ثمرة؛ إذ به ينكشف للقلوب سر الخطاب الإلهي، وتتجلى للعيان أنوار الفهم الرباني، ويُسافر للأنظار مجالي الهداية والرشد.

وفي طليعة أولئك المصطفين الأخيار، ظهر الإمام إبن عجيبة ذلك الجهبذ في علم التفسير جامعا بين التفسير بالمأثور والرأي مع بيان اللطائف الروحية والمستوحاة من القران، فكان تفسيره البحر المديد في تفسير القرآن المجيد المعول والمعتمد، في فهم كثير من الاشارات القرانية فهو تفسير ينضح علمًا يجد فيه المتأمل بغيته ومرادة في فهم كلام الله تعالى .

خطة البحث :

تكونت خطة البحث من أربعة مطالب، فالمطلب الأول كان بتعريف موجز بابن عجيبة، ثم في المطلب الثاني عن التعريف بتفسير البحر المديد، ثم في المطلب الثالث تعريف الترجيح، وفي المطلب الرابع المسائل التي رجحها ابن عجيبة في كتابة من سورة الجن وهي مسألتان.

سائلين المولى أن يجعل عملنا مقبولًا، وسعينا مشكورًا، ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

المطلب الأول : التعريف بابن عجيبة

يعد ابن عجيبة من العلماء البارزين و المشهورين في المغرب العربي خاصة، والعالم الإسلامي عامة حيث ذاع صيته في الأوساط الصوفية في الآفاق إماماً صوفياً وشيخاً للطريقة الشاذلية [١].

فاسمه: هو أحمد بن محمد بن المهدي بن الحسين بن محمد بن عبد الله ابن عجيبة ابن سحنون بن إبراهيم بن أحمد بن موسى بن عبد الله بن محمد بن موسى: إدريس الأصغر بن « إدريس الأكبر. [٢]. كان يكنى بأبي العباس الانجري[٣]. ويلقب بابن عجيبة [٤]. الحسيني نسباً [٥]،التطواني داراً [٦]، الفاسي تعليماً)[٧].

(١) الشاذلية، طريقة صوفية تعود أصولها إلى مؤسسها أبو الحسن الشاذلي وتتلخص تعاليم الطريقة في اصول خمسة هي: تقوى الله سراً وعلناً - اتباع السنة قولاً وعملاً - الإعراض عن الخلق إقبالاً وإدباراً - الرضى عن الله في القليل والكثير - الرجوع إلى الله تعالى في السراء والضراء ينظر: كشف الأسرار لتنوير الأبصار،مصطفى بن محي الدين نجا الشاذلي، ج ١٣، ص ٥٨.

(٢) فهرسه ابن عجيبه : ص ١٦٠.

(٣) الانجري: نسبتاً لقبيله انجره حيث ولد فيها في قرية اجعبيش الواقعة بين طنجة وتطوان. ينظر :الأعلام ،لزركلي ،ج ١،ص ٢٤٥.

(٤) وهو لقبه الذي اشتهر به، وسبب تسميته ابن عجيبة راجع إلى أحد أجداده الذي كان اسمه عبد الله بن عجيبة (لم اقف على ترجمه له)، وكان من الأولياء الصالحين ينظر:(شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: محمد ابن محمد ابن سالم مخلوف، ج١،ص٥٧٢.ويرى الدكتور عبد المنعم الحنفي: وهو كاتب وأكاديمي مصري.موقع ويكيبيديا(أن إسمه ابن عجيبة كان تعبيراً من أهل زمنه عن سعة إطلاعه، وتمكنه من ثقافته ومقدرته على شرح آراء غيره، واستيعابها، ويقصد بذلك تيسير التحصيل على المريدين وتثقيفهم بخير ما في الكتب الأمهات للتصوف، تربية للأجيال) الموسوعه الصوفيه ص ٤٠٤.

(٥) النسب الحسيني : وهو النسب المنتمي إلى آل بيت النبي محمد، فهم ينحدرون من نسب الحسين بن علي (رضي الله عنهما).

(٦) تطوان أو تيطاوين أو تطاون هي مدينة مغربية، يطلق عليها لقب الحمامة البيضاء. أحيائها القديمة أندلسية الطابع، تقع في منطقة الريف الكبير وفي منطقة فلاحية على ساحل البحر الأبيض المتوسط، بين مرتفعات جبل درسة وسلسلة جبال الريف ينظر: معجم البلدان ياقوت الحموي، أبو عبد الله، ياقوت بن عبد الله الحموي، (ت ٦٢٦هـ)، دار الفكر، ج ٤، ص ٤٣.

(٧) فاس: هي ثالث أكبر مدن المملكة المغربية، بعد الدار البيضاء والرباط، تعد فاس مدينة تاريخية عريقة، وهي أول عاصمة سياسية للمغرب، يعود تاريخها إلى القرن الثاني الهجري عندما قام بتأسيسها إدريس بن عبد الله، مؤسس دولة الأدارسة عام (١٧٢هـ)، وكانت عاصمة المملكة المغربية حتى عام (١٩١٢م)، مدة الاحتلال الفرنسي، والتي استمرت حتى (١٩٥٦م)، وتم فيها تحويل العاصمة إلى مدينة الرباط ينظر: معجم البلدان شهاب الدين، ج ٤، ص ٢٣٠.

أما عقيدته ومذهبه: أشعري[١] العقيدة، مالكي المذهب[٢]، شاذلي الطريقة . [٣] ولد سنة (١١٦٠هـ - ١٧٤٧م) وقد أرخَ مولده بحادث حصار (المستضئ إبن إسماعيل)[٤] لتطوان. من قرية (أعجبيش) من قبيلة (أنجرة) التي تسكن الجبال المحيطة بمدينة تطوان»، حيث ولد من أسرة حسينية الشرف أبواه «كلاهما ينسب إلى بيت النبوة ونسبه يتصل بالولي الصالح العالم القطب[٥] الحسين الحجوجي[٦].

وأمه هي رحمة بنت سيدي محمد، حيث كانت متعبدة، ناسكة ماتت في حدود العشرة الأولى من القرن الثاني عشر[٧]

نشأته وطلبه للعلم:

لقد نشأ ابن عجيبة في عائلة محبة لله عاملة في أوامره متبعة لطريق الهدى ،حيث كان يقول الشيخ: كانت أمي تقول في مدة حملها بي، (اللهم ارزقني الذرية الصالحة) تقول ذلك بعد كل وقت صلاة، كذلك إذا جاء وقت الصلاة كنت أصبح على أمي حتى نصلي سوياً، وكنت وأنا

(١) العقيدة الأَشْعَرية أوعقيدة الأشاعِرة: هو فِرْقةٌ تُنسَبُ إلى الشَّيْخِ أبي الحَسَنِ الأَشْعَرِيِّ البَصْرِيِّ المُتَوفَّى في بَغْدادَ سَنَةَ (٣٢٤هـ)، ظَهَرَ في القَرْنِ الرَّابِعِ الهِجْرِيِّ. ينظر: منهج الأشاعرة في العقيدة – الكبير، سفر بن عبد الرحمن الحوالي ،ص٢١٢.

(٢) المذهب المالكي:وهو مذهب تنسب تسميته للامام مالك بن انس (رضي الله عنه) الذي عاش ما بين عامي ٩٣-١٧٩هـ ، ويعتمد في مذهبه ـ إضافة إلى الأصول المتفق عليها بين جميع الأئمة من الكتاب والسنة والقياس وإجماع الصحابة ـ يعتمد على عمل أهل المدينة والاستصلاح. ينظر: التعريف ببعض علوم الإسلام الحنيف الشيخ:عبد الله نجيب سالم ،ج١،ص٤٥.

(٣) ينظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية محمد ابن محمد ابن سالم مخلوف،ج١،ص٥٧١.

(٤) المستضيء بنور الله ابن إسماعيل بن محمد الشريف الحسني(ت ١١٧٣هـ) كان مقيما بتافيلالت، وخلع العبيد أخاه ابن عربية سنة ١١٥١هـ، وكتبوا إليه فجاء إلى مكناسة وبايعوه، واستقر بفاس، فكانت سيرته أفظع من سيرة سلفه،. وهو أول من ضرب سكة النحاس الأحمر مموهة بالفضة. ولم تنقطع الحروب بينه وبين أخيه السلطان عبد الله. أقام بسجلماسة، معرضًا عن طلب الملك، متناسيا عهده فيه، إلى أن توفي. ينظر: ترجمته في البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف أبو القاسم ,ص ٢٨١-٢٩٤.

(٥) القطب : اوقد يسمى غوثاً باعتبار التجاء الملهوف اليه، وعند الصوفيه أعطاه الله الطلسم الأعظم من لدنه... ينظر: التعرفيات ،الجرجاني ، ص١٧٧.

(٦) وترجمته ان الناس اطلقوا عليه هذا القلب لانه كان يحج ويجيء فشتهر بالحجوجي وسبب سريان هذا اللقب على الجد المذكور أنه كان من أهل الخطوة حيث كان كل سنة يذهب مع الحجاج للحج والوقوف بعرفة على سبيل الطي وخرق العادة.ينظر فهرسة ابن عجيبه ,ص١٦.

(٧) . فهرسة ابن عجيبة ,ص١٩.

صبي نتوضأ لكل صلاة ونبل ثيابي. فقالت لي الأم خوفا من عفن الثياب: تيمم وصل فعلمتني التيمم فصليت بالتيمم أياماً ظننت أن ذلك يصح مع وجود الماء، ثم ردتني إلى الوضوء[١] ، حبب لابن عجيبة الخلوة والوحدة، فكان لا يلعب مع الصبيان، ولا يلتفت إلى ما هم فيه ... وقد ألقى الله في قلبه حب العلم، في صباه، وقد قرأ المقدمة القرطبية[٢]، وقيل: ختم القرآن، وتحدث عن نفسه في فهرسته أنه تمتع بقريحة وقادة لا يعطل شيئاً من الأيام فإذا كان يوم الخميس اشتغل بالكتابة، أو قراءة المتون، وكذلك في أيام العطل، لا يخليها من قراءة القرآن، والاطلاع على علومٍ عدة، منها النحو والصرف والفقه والقراءات ... فشبابه كان لله، نشأ في عبادة ربه، وطاعته، وطلب العلم.

وفاته:

توفي ابن عجيبة في أواسط القرن الثالث عشر، ومقامه مشهور في المغرب توفي في السابع من شوال سنة (١٢٢٤هـ) بمرض «الطاعون»، حيث دفن في «تطوان» (رحمه الله)[٣].

المطلب الثاني : تعريف بتفسير البحر المديد وبواعث تأليفه

اولاً: قال ابن عجيبة: (فسرت كتاب الله العزيز من أوله إلى أخره في اربعة مجلدات كبيرة، جمعت فيه بين اصل الظاهر و إشارة اصل الباطن سميته البحر المديد في تفسير القرآن المجيد)[٤]. وهذا يدل أن ابن عجيبة كان شغوفا بالقرآن المجيد فستخدمه الله لذلك حتى جعل وقته لله وشغله عن كل مغريات الدنيا فقام على صعيد واحد في تفسير القرآن الكريم.

ويعد تفسير البحر المديد أكبر وأهم ما ألف و يدل هذا على إنه أفضل ما تحقق فيه نتائج الأفكار وعميق الفهوم، ولكن لا يتقدم لهذا الخطر الكبير، إلا العالم المتمكن ، الذي رسخت إقدامه في العلوم ظاهرة، وجالت أفكاره في معاني القران الباهرة، ويكون قد أخذ من أقوال الرجال، ثم خاض في لوم النصوص حالاً و ذوقاً وتصافاً بصحبته أهل الأذواق أهل الكمال وقال

(١) ينظر :فهرسة ابن عجيبة ,ص ١٩.

(٢) المقدمة القرطبية: أو أرجوزة الولدان في الفرض للعلامة الفقيه، أبو بكر، يحيى بن سعدون القرطبي، (ت ٥٦٧هـ)، يبلغ عدد أبياتها (١١٧) بيت، طبعت بشرح العلامة الزاهد، أحمد زروق البرنسي، ت ٨٩٩ هـ)، تحقيق: الدكتور أحسن زقور، صدرت عن دار التراث الجزائر، دار ابن حزم، ط ١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

(٣) ينظر: الأعلام لزركلي ،ج١,ص٥٤٢.

(٤) فهرسة ابن عجيبة ، ص ٣٨-٣٩.

أعلم أنَّ القرآن عظيم، له ظاهر الأصل الظاهر وباطن الأصل الباطن، وتفسير أهل الباطن لا يذوقه إلا أصل باطن [١].

ثانياً: بواعث تأليفه

لقد بدأ بتأليف تفسيره بعد أن أكمل دراسته للعلوم الشرعية، وامتلكها بشكل كامل، والتي تعتبر أساسية للمشتغلين في مجال التفسير، وأبرز ابن عجيبة الدافع الذي دفعه لتدوين هذا العمل بعد أن حصل على الإذن[٢]، مستندًا إلى ما هو متداول بين القوم، من أنهم لا يتوجهون إلى أي أمر إلا بعد أن يتلقوا الإذن بشأنه. وفي مقدمته، يشير إلى ذلك بوضوح بقوله: «فإن علم تفسير القرآن من أجل العلوم، وأفضل ما ينفق فيه نتائج الأفكار وقرائح الفهوم ولكن لا يتقدم لهذا الخطر الكبير إلا العالم النحرير[٣] الذي رسخت أقدامه في العلوم الظاهرة عربية وتصريفا ولغة وبيانا وفقها وحديثا وتاريخا يكون أخذ ذلك من أفواه الرجال ثم غاص في علوم التصوف ذوقاً وحالاً ومقالاً، بصحبة أهل الأذواق من أهل الكمال ، وإلا فسكوته عن هذا الأمر العظيم أسلم، واشتغاله بما يقدر عليه من علم الشريعة الظاهرة أتم، ... "[٤].

وقد ذكر ابن عجيبة في مقدمة تفسيره سبب تأليف التفسير، بقوله: "وقد ندبني شيخي العارف الرباني سيدي محمد البوزيدي الحسني، وكذلك شيخه القطب الجامع شيخ المشايخ مولاي العربي الدرقاوي الحسني، أن أضع تفسيراً يكون جامعاً بين تفسير أهل الظاهر وإشارة أهل الباطن، فأجبت سؤالهم، وأسعفت طلبتهم، رجاء أن يعم به الانتفاع، ويكون ممتعاً للقلوب والأسماع"[٥].

من هذا يتبين أنه جمع في تفسيره بين تفسير القرآن الكريم وبين التفسير الإشاري[٦]، كما يظهر مدى ثقة شيوخه به، ومعرفتهم بقدرته على النهوض بهذا الجهد الكبير. وبين تأريخ فراغه من التفسير فقال: "وكان الفراغ من تبييضه زوال يوم الأحد، سادس ربيع النبوي، عام واحد

(١) تاريخ تطوان: ج ٦، ص ٢١٩.

(٢) المقصود بلأذن : ذلك ان الصوفيه يأخذون الاذن روحانياً أي بشكل رؤيا في المنام او انشراح الصدر للأمر او وصولهم لمستوى معين من النضج الروحي او بأستشارة التلميذ لشيخه (المرشد).

(٣) النحرير: العالم الحاذق في علمه وجمعه النحارير. ينظر: لسان العرب، ابن: مادة (نحر) ج ٥,ص١٩٧.

(٤) البحر المديد: ج ١,ص٤٩.

(٥) البحر المديد: ج١,ص٥٠.

(٦) التفسير الفيضي أو الإشاري: هو تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات حقية تظهر لأرباب السلوك، ويمكن التطبيق بينها وبين الظاهر المرادة . ينظر : ينظر التفسير والمفسرون للذهبي ج٢,ص٢٦١.

وعشرين ومائتين وألف، على يد جامعه، العبد الضعيف، الفقير إلى مولاه، أحمد بن محمد بن عجيبة الحَسَنِي، لطف الله به في الدارين. آمين «[١].

المطلب الثالث: تعريف الترجيح

الترجيح في اللغة: الترجيح مصدر من باب رجح يرجح ترجيحاً إذا زاد وزنه، وتدور مادة (رجح) حول الميلان، والثقل، والميلان من الثقل. نقول: رجح الميزان: أعطاه راجحاً، وترجحت به الأرجوحة: مالت، ويتعدى بالألف وبالتثقيل فيقال: أرجحت الشيء ورجحته ترجيحا أي: فضلته وقويته. وأرجحت الرجل أي: أعطيته راجحا، « ورَجَحَ الشيءَ بيده: وَزَنه ونَظر ما ثِقْلُه، وأَرْجَحَ الميزانَ: أَي: أَثقله حتى مال « [٢] .

ورجحت الشيء بالتثقيل فضلته وقويته [٣]. قال السرخسي[٤] " تفسير الترجيح لغة إظهار فضل في أحد جانبي المعادلة وصفا لا أصلا فيكون عبارة عن مماثلة يتحقق بها التعارض ثم يظهر في أحد الجانبين زيادة على وجه لا تقوم تلك الزيادة بنفسها فيما تحصل به المعارضة أو تثبت به المماثلة بين الشيئين" [٥].

وفي اصطلاح الأصوليين: "تقوية إحدى الإمارتين على الأخرى ليعمل بها، أي: بالإمارة التي قويت [٦]. وقيل: "إثبات مرتبة في أحد الدليلين على الآخر "[٧]. وقيل: "تقوية أحد الدليلين بوجه معتبر، وعبر بعضهم بزيادة وضوح في أحد الدليلين"[٨].

أما الترجيح عند المفسرين فهو : "تقوية أحد الطريقين على الآخر ليعلم الأقوى فيعمل به ويطرح الآخر." [٩].

(١) البحر المديد ،ج٧,ص٣٧٩.
(٢) لسان العرب لابن منظور، مادة رجح،ج٢,ص ٤٤٥.
(٣) ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أبو العباس ،ج ١ ,ص٢١٩.
(٤) محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي الحنفي، فقيه أصولي مجتهد حنفي متكلم مناظر ، توفي في حدود سنة ٤٩٠هـ. ينظر : الأعلام للزركلي،ج٥,ص٣١٥ .
(٥) أصول السرخسي، للسرخسي ،ج٢,ص٢٤٩.
(٦) الإبهاج في شرح المنهاج، تقي الدين السبكي وولده تاج الدين ، ج٣,ص٢٠٨.
(٧) كتاب التعريفات للجرجاني ، ص ٥٦ .
(٨) التوقيف على مهمات التعاريف زين الدين محمد بن تاج العارفين،ج١,ص٩٥.
(٩) المحصول، فخر الدين الرازي ،ج٥,ص٣٩٥.

وقيل: تقوية أحد الأقوال في تفسير الآية لدليل يدل على قوته، أو قاعدة تقوية، أو لتضعيف، أو رد ما سواه من الأقوال[١] .

المطلب الرابع: الترجيح في سورة الجن [٢]

المسألة الأولى : المراد في قولة تعالى: (رَصَدًا)

(وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا) [٣]

ترجيح ابن عجيبة:

«أي: شهاباً راصداً له ولأجله، يصده عن الاستماع. أو هو اسم جمع الراصد على معنى ذوي شهاب راصدين بالرجم، وهم الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب، ويمنعونهم من الاستماع.

والجمهورعلى أن ذلك لم يكن قبل مبعث نبينا .

وقيل : كان الرجم في الجاهلية، ولكن الشياطين كانت تسترق في بعض الأوقات، فمنعوا من الاسترق أصلاً بعد مبعث النبي ﷺ. قلت: وهذا هو الظاهر، وأن الرمي كان موجوداً قبل البعثة، إلا أنه قليل، وأشعار الجاهلية محشوة بذلك وتجد ذلك مدرجاً في كتاب الثعلبي[٤].

وروي في بعض الأخبار: أن إبليس كان يسترق السمع من السماوات، فلما ولد عيسى عليه السلام وبعث حجبت الشياطين عن ثلاث سماوات، فلما ولد محمد ﷺ حجبت عن السماوات كلها، وقذفت بالنجوم، وذكر أبو جعفر العقيلي[٥]، بإسناد له إلى لهب بن مالك [٦]، قال: حضرت مع رسول الله ﷺ فذكرت عنده الكهانة، فقلت: بأبي أنت وأمي نحن أول من عرف حراسة السماء، ورصد الشياطين، ومنعهم من استراق السمع عند قذف النجوم،

(١) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين ،الحربي، ج١,ص٣٥.

(٢) سوره الجن اياتها ٧٢ سبب التسميه سميت بهذا الاسم لانها ذكر فيها اوصاف الجن واحوالهم وطوائفهم وايضا سوره قل اوحي الي التعريف بالصوره مكيه من المفصل اياتها ٢٨ ترتيبها الثانيه والسبعون نزلت بعد الاعراف بدات بفعل امر قل اوحي اليه في الجزء ٢٩ الحزب ٥٨ الربع ٥.

(٣) سورة:الجن:الاية: ٩.

(٤) الكشف والبيان عن التفسير، للثعلبي، ج٥,ص٣٣٤.

(٥) محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي المكي، أبو جعفر: من حفاظ الحديث. قال ابن ناصر الدين: له مصنفات خطيرة، منها كتابه في (الضعفاء - خ) كبير. وكان مقيما بالحرمين، وتوفي بمكة. الاعلام للزركلي، ج٦,ص٣١٩.

(٦) "الهب بن مالك بن عبيد بن سلمة بن عامر بن سعد بن خنساء بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار الأنصاري، ذكره موسى بن عقبة فيمن شهد العقبة." ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٦، ص ٤٥٠.

وذلك أنا جئنا إلى كاهن لنا، يقال له خطل، وكان شيخاً كبيراً، قد أتت عليه مائتا وثمانون سنة، فقلنا : يا خطل ؛ هل عندك علم بهذه النجوم التي يُرمى بها، فإنا قد فزعنا منها، وخفنا سوء عاقبتها، فقال: ائتوني بسَحَر أخبركم الخبر، الخير أم ضرر، أم لأمن أو حذر، فأتيناه غداً عند السحر، فإذا هو قائم على قدميه، شاخص إلى السماء بعينيه، فناديناه : يا خطل، فأومأ إلينا : أن أمسكوا، فانقض نجم عظيم من السماء، وصرخ الكاهن رافعاً صوته : أصابه إصابة، خامره عقابه عاجله عذابه أحرقه شهابه، ثم قال: يا معشر قحطان، أخبركم بالحق والبيان، أقسم بالكعبة والأركان، لمنع السمع عتاة الجان، المولود عظيم الشأن، يبعث بالتنزيل والقرآن، وبالهدى وفاصل الفرقان، يمنع من عبادة الأوثان . فقلنا : ما ترى لقومك ؟ فقال : أرى لقومي ما أرى لنفسي، أن يتبعوا خير نبي الإنس، برهانه مثل شعاع الشمس، يبعث من مكة دار الخمس، يحكم بالتنزيل غير اللبس، فقلنا : وممن هو ؟ فقال : والحياة والعيش، إنه لمن قريش، ما في حلمه طيش، ولا في خلقه هيش، يكون في جيش، وأي جيش !! فقلنا : بين لنا من أي قريش هو ؟ فقال : والبيت ذي الدعائم، والديار والحمائم، إنه لمن نجل هاشم من معشر أكارم، يبعث بالملاحم، وقتل كل ظالم، هذا هو البيان، أخبرني به رئيس الجان، ثم قال : الله أكبر، جاء الحق وظهر، وانقطع عن الجن الخبر».[1]

صيغة الترجيح: استعمل ابن عجيبة لفظاً ترجيحياً صريحاً وهو (الظاهر).

أسلوب الترجيح: يذكر ابن عجيبة أن هناك اختلاف في رأي الجمهور حول وجود الرجم قبل مبعث النبي محمد ﷺ:

- يرى الجمهور أن الرجم لم يكن موجوداً قبل مبعث النبي محمد r.

- يرى بعض العلماء أن الرجم كان موجوداً في الجاهلية، ولكن الشياطين كانت تسترق في بعض الأوقات، فمنعوا من الاسترق أصلاً بعد مبعث النبي محمد r.

ابن عجيبة يخلص إلى أن الرمي كان موجوداً قبل البعثة، ولكن كان قليلاً، وأشعار الجاهلية محشوة بذلك.

وجه الترجيح: استدل ابن عجيبة وذكر أبو جعفر العقيلي[2]، بإسناد له إلى لهب بن مالك، قال: حضرت مع رسول الله ﷺ فذكرت عنده الكهانة..... الخ.

(١) البحر المديد ،ج٨,ص١٥٥.

(٢) محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي المكي، أبو جعفر: من حفاظ الحديث. قال ابن ناصر الدين: له مصنفات خطيرة، منها كتابه في (الضعفاء - خ) كبير. وكان مقيما بالحرمين، وتوفي بمكة. الاعلام للزركلي، ج٦,ص٣١٩.

أقوال المفسرين: يتفق ابن عجيبة مع العلماء في أن الرجم كان موجوداً قبل البعثة، ولكن يختلف في توضيح تفاصيل ذلك:

الزمخشري: الرجم كان قبل المبعث، وقد جاء ذكره في شعر أهل الجاهلية. (١)

ووافقه الرازي بذلك(٢) والنسفي (٣) وابو حيان(٤) والألوسي (٥).

الخلاصة: وعليه يتبين لي رجحان قول ابن عجيبة ؛لأن «تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم « (٦).

المسألة الثانية: المراد في قولة تعالى: (لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ)

(لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا) (٧)

ترجيح ابن عجيبة:

" ولنفتنهم فيه؛ لنختبرهم فيه كيف يشكرون ما حولوا منه. وفي الحديث القدسي يقول الله عز وجل : لو أن عبادي أطاعوني لأسقيتهم المطر بالليل، وأطلعت عليهم الشمس بالنهار، ولم أسمعهم صوت الرعد (٨)، وهذا كقوله تعالى: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (٩)

وقيل: المعنى: وأن لو استقاموا على طريقة الكفر لأسقيناهم ماء غدقاً، (استدراجاً) لنفتتهم فيه) فإذا لم يشكروا أهلكناهم، وهذا كقوله تعالى: (وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ)(١٠) والأول أظهر(١١).

(١) ينظر:الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل،للزمخشري، ج٤,ص٦٢٥-٦٢٦.

(٢) ينظر:مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، للرازي،ج٣٠,ص٦٦٩.

(٣) ينظر:تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، للنسفي ،ج٣,ص٥٥٠.

(٤) ينظر:البحر المحيط في التفسير، لابو حيان ،ج١٠,ص٢٩٧.

(٥) ينظر:روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الالوسي،ج١٥,ص٩٨.

(٦) التحرير والتنوير، لابن عاشور ، ج١,ص٢٧١.

(٧) سورة:الجن:الاية: ١٧.

(٨) مسند احمد رقم الحديث ٨٧٠٧ ،ج ١٤, ص٣٢٧.

(٩) سورة:الأعراف:الاية: ٩٦.

(١٠) السورة:الزخرف:الاية: ٣٣.

(١١) البحر المديد ، ج٨,ص١٥٨.

صيغة الترجيح: استعمل ابن عجيبة لفظاً ترجيحياً صريحاً (والأول أظهر).

أسلوب الترجيح: يذكر ابن عجيبة تفسيرين محتملين:

١. التفسير الأول: يرى أن الآية تعني أن الله يختبر عباده في النعمة التي يعطونها، ليرى كيف يشكرونها.

٢. التفسير الثاني: يرى أن الآية تعني أن الله يهدي عباده إلى الكفر إذا استقاموا عليه، ثم يهلكهم إذا لم يشكروا.

وجه الترجيح: استدل ابن عجيبة في الحديث القدسي اذ يقول الله عز وجل : لو أن عبادي أطاعوني لأسقيتهم المطر بالليل، وأطلعت عليهم الشمس بالنهار، ولم أسمعهم صوت الرعد [١].

أقوال المفسرين: يتفق ابن عجيبة مع الطبري[٢] والزمخشري[٣] في أن المعنى هو الاختبار، وذلك مناسبة مع سياق الآية التي تليها. ويقول الثعلبي[٤]: وأن لو استقاموا على طريقة الكفر والضلالة لأعطيناهم مالا كثيرا ولوسّعنا عليهم (لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) عقوبة لهم واستدراجا. [٥]

الخلاصة: وعليه يظهر لي رجحان ما قالة ابن عجيبة؛ لأن «القول الذي تؤيده قرائن في السياق على ما خالفه « [٦]، وكذلك «إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك»[٧].

(١) مسند احمد ،قدسي، حديث ٨٧١٠،٨٧٠٩،٨٧٠٧ ،ج١٤ , ص٣٢٧.
(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن،للطبري،ج٢٣,ص٦٦٢ص٦٦٤.
(٣) ينظر:الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري،ج٤,ص٤٢٩.
(٤) أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق الثعلبي النيسابوري، توفي سنة سبع وعشرين وأربعمائة بنيسابور، ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء ج١,ص١٠٠.
(٥) ينظر:الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي ، ج١٠,ص٥٣.
(٦) قواعد الترجيح عند المفسرين، للحربي، ج١,ص٢٩٩.
(٧) المصدر نفسة، ج١,ص١٢٥.

الخاتمة

الحمد لله الذي بمنه وفضلة تتم الصالحات. في خاتمة البحث لا يسعني الا ان نحمد الله عز وجل وان ونستخلص اهم النتائج التي توصلنا اليها وهي موجزة فيما يأتي:

١. رجح ابن عجيبة في سورة الجن في موضعين فقط بصيغة صريحة وواضحة وهي صيغة (الظاهر) و(والأول أظهر).

٢. لابن عجيبة اسلوبه الخاص ومنهجه الذي يفسر فيه القران يشعر القارئ فيه بهذا العلم الجم الذي يظهر من خلال تفسير ابن عجيبة لتفسير القران الكريم.

٣. ينقل ابن عجيبة من النصوص ما يبين به مراد الله تعالى من القران والاحاديث النبوية ولا يكتفي فقط بالإشارات التفسيرية والتفسير العرفاني كما يقال عنه.

٤. ان ترجيح ابن عجيبة لا يخرج عن ترجيح المفسرين الاخرين فهو متقيد بخط العام للمفسرين.

٥. ان سورة الجن من السور القرآنية التي تزخر بالمعاني الجليلة والمقاصد العظيمة التي يجد فيها المفسر بغيته والسائل مبتغاه.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.١. الإبهاج في شرح المنهاج، تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن حامد بن يحيي السبكي وولده تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م،.

٢. أصول السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (ت ٤٨٣هـ)، دار المعرفة بيروت.

٣. الأعلام ،خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين،ط ،١٥،- أيار/ مايو ٢٠٠٢ م.

٤. البحر المحيط في أصول الفقه، بدر الدين محمد بن عبد الله أبو عبد الله بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، دار الكتبي، ط ١، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م.

٥. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد،أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت ١٢٢٤هـ) ،عدد الأجزاء / ٨،دار الكتب العلمية،بيروت،ط٢ / ٢٠٠٢ م - ١٤٢٣ هـ.

٦. البرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر بن عبد الله أبو عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو إبراهيم الفضل دار المعرفة، بيروت، (دط)، ١٣٩١هـ .

٧. التحرير والتنوير عبير بنت عبد الله النعيم، دار التدمرية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٣٦هـ ٢٠١٥م.

٨. التعريف ببعض علوم الإسلام الحنيف الشيخ:عبد الله نجيب سالم الكويت. وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية.

٩. التعريفات ، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر،دار الكتب العلمية بيروت –لبنان ط ١٤٠٣،١هـ -١٩٨٣م .

١٠. تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت ٧١٠هـ)،حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي ،راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

١١. تفسير جزء عم للشيخ مساعد الطيار، د.مساعد الطيار، دار ابن الجوزي، ط٨، ١٤٣٠هـ.

١٢. التفسير والمفسرون الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (ت ١٣٩٨هـ)، مكتبة وهبة، القاهرة (دط)، (د.ت).

١٣. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي.

١٤. جامع البيان عن تأويل أي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر د. عبد السند حسن يمامة دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

١٥. الجامع لأحكام القرآن,أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١ هـ) , هشام سمير البخاري,دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية,ط: ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م.

١٦. الجرح والتعديل، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي (ت ٣٢٧هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، بحيدر آباد الدكن – الهند، (ط١، ١٢٧١ هـ - ١٩٥٢م).

١٧. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود بن عبد الله الآلوسي (ت١٢٧٠هـ)، تحقيق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

١٨. روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب أحمد بن حنبل، موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة أبو محمد الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي الشهير بابن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠هـ)، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، ٢، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

١٩. سير أعلام النبلاء,شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ), دار الحديث- القاهرة,ط: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م,عدد الأجزاء: ١٨.

٢٠. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية محمد ابن محمد ابن سالم مخلوف، علق عليه:عبد المجيد الخيالي، دار الكتب العلمية لبنان ، ط١،(٢٠٠٣م- ١٤٢٤ هـ).

٢١. غاية النهاية في طبقات القراء,شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت ٨٣٣هـ), مكتبة ابن تيمية,ط :عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١هـ , عدد الأجزاء: ٣.

٢٢. فصول في أصول التفسير، د. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار تقديم: د. محمد بن صالح الفوزان، دار ابن الجوزي (ت١٤٢٣هـ).

٢٣. الفهرسة وهى سيرة الشيخ الذاتية، انتهى من تنقيحها سنة (١٢٢٤هـ) وإن كان قد بدأ تأليفها قبل ذلك بمدة. رأت نور الطباعة أول مرة باللغة الفرنسية، حيث ترجمها المستشرق الفرنسى المسلم «جان لوى ميشون» ، ثم صدرت بمصر باللغة العربية سنة ١٩٩٠ م، بتحقيق د/ عبد الحميد صالح.

٢٤. قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية,حسين بن علي بن حسين الحربي,رسالة ماجستير- كلية أصول الدين، جامعة الإمام ١٤١٥ هـ بإشرف الشيخ مناع القطان,دار القاسم – السعودية,ط٢، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م,عدد الأجزاء: ٢.

٢٥. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل, أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي,دار إحياء التراث العربي-بيروت,عدد الأجزاء/٤,عبد الرزاق المهدي.

٢٦. كشف الأسرار لتنوير الأبصار،مصطفى بن محي الدين نجا الشاذلي،ط ١جريدة بيروت عام ١٨٨٢م.

٢٧. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي (ت ٤٢٧ هـ)، دار التفسير، جدة - المملكة العربية السعودية،ط ١، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م.

٢٨. لتحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»,محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ), الدار التونسية للنشر – تونس,سنة النشر: ١٩٨٤ هـ,عدد الأجزاء : ٣٠ (والجزء رقم ٨ في قسمين).

٢٩. لسان العرب المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ): دار صادر – بيروت ط ٣ - ١٤١٤هـ.

٣٠. لسان العرب المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ): دار صادر – بيروت ط ٣ - ١٤١٤هـ.

٣١. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت ٥٤٢هـ)،المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت،ط١ - ١٤٢٢ هـ.

٣٢. المحصول، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين أبو عبد الله التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦ هـ)، دراسة وتحقيق الدكتور طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤١٨ هـ،١٩٩٧م.

٣٣. المحيط في التفسير،أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)،المحقق: صدقي محمد جميل،الناشر: دار الفكر – بيروت،ط١: ١٤٢٠ هـ.

٣٤. مختصر في قواعد التفسير خالد بن عثمان السبت دار ابن القيم دار ابن عفان، ط١، ١٤٢٦هـ.٢٠٠٥.

٣٥. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ (ت٧٧٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م هـ.

٣٦. معجم البلدان شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ)،دار صادر، بيروت ط٢، ١٩٩٥ م.

٣٧. معجم البلدان ياقوت الحموي، أبو عبد الله، ياقوت بن عبد الله الحموي(ت ٦٢٦هـ)، دار الفكر.

٣٨. معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر,عادل نويهض, قدم له: مُفتي الجمهورية اللبنانية الشَّيْخ حسن خالد،مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان،ط٣، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.

٣٩. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٤٠. مفاتيح الغيب ,فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي,الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م,ط١,عدد الأجزاء / ٣٢.

٤١. مقدمة في أصول التفسير، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي (ت٧٢٨هـ)، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، طه ١٤٩٠ هـ ١٩٨٠م.

٤٢. الموسوعة الصوفية، أعلام التصوف والمنكرين عليه والطرق الصوفية، عبد المنعم الحفني، دار الرشاد، ط١، (١٤١٢هـ / ١٩٩٢م).

٤٣. النكت والعيون علي بن محمد بن محمد بن حبيب أبو الحسن البصري البغدادي،

الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠ هـ)، تحقيق: السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.